رفع القمع عن فراشة الدمع

ـ ١ ـ

كان انتظارها الطالع في العينين
فراشتين .
لو انها ألقت على يديه صدرها المبتل بالندى وبالمطر
أو ضمدت أوسمة الموت بنهدها العريان
أو مسحت جراحه الخثراء والسيف الذي انكسر
بثوبها الظمآن
لانفتحت يداه مرتين
فمرة يمنحها هدية الرجوع
ومرة يمنحها الخاتم في اصبعه المقطوع .

حين يصير الموت طارقا ليليا
يرمي من النافذة المفتوحه
الراتب الشهريا
تظل في قوائم الاحياء
أسماء من ماتوا
سنبلة البكاء يا سنبلة البكاء
لا تطلعي .. فالموت في الربوع
أصبح شرطيا
حين تصير الارؤس المذبوحه
موتا غيابيا ..

كانت صناديق الهدايا الموجعه
تفتح تحت أعين الحراس
(الصمت كان الشاهد الوحيد .)
تخرج أكياس الحصى والرمل ، تفتح القبور، تغلق القبور
(الصمت كان الشاهد الوحيد .)
كان رجال الشرطة الملثمـــون يمسحون أوجه الموتـى من الصحف

ويغلقون حول الدمع في البيوت
دائرة السكوت ..

ـ ٢ ـ

صوت :

راسي المقطوع
محشو بالاسلاك الشائكه الصدئه
والملح على أطراف الشفة المهترئه
صمت منفجر مسموع
كانت أصوات الارض المنطفئه
قيدا ونداء رجوع
لكن العربات الفارهة المنكفئه
صبغت أطر العجلات السوداء
ببقايا الاشلاء .

صدى :

كانت حبّات الطمي تحاور رشح الماء
عن حبة قمح مبتدئه
شقت قشرتها وانتظرت في ظلمات الارض الدفئه
أن تطلع ساعة ينسج قمر الجوع
ـ من لحم الموتى ـ سنبله حيه .

أصوات وأصداء مختلطة :

« الناس نيام
فاذا ماتوا انتبهوا . »
« كانت أقفية مدبوغه
ـ بالصفع ـ وكان الرأس حذاء للاقدام . »
« لو أفلت صوت الموتى من بوابتنا الليليه
لعرفنا كيف نموت
معتدلي القامه . »
« يوم تقوم الساعة والملكوت
ستقوم الصحراء المشويه
جسدا مجبولا من أجساد
يتمطى ، ينفض عنه الاسلاك الشائكة الملويه ،
يفرك عينيه وينقر في الناقور . »
« فلنحمل ما أبقته الريح من الاشلاء . »
« واذا قام الموتى .. من يدفعهم عنا ؟!
فلندفعهم في أقباء الذاكرة الخوانه . »

بكائية :

لو كنت أعرفه .. لو كان يعرفني

لحملته خبزي وحملته كفني
وعرفت ان نداءه المذبوح يكشفني
نصفي يموت هناك
نصفي هنا يبكي ..

* * *

« أبكي على عيني »
محشوة بالرمل والبارود
أبكي على ما أطلعته الارض في النخلة
من تمرها الموعود
أبكي على الناطور والعنقود .

* * *

فلتدمعي يا عين
هذا جدار البين
قد حفّرته الريح
فتآكلت أسماء من ماتوا .
ولتدمعي يا عين
ليست ترد الريح
أسماءنا الا بأن نبكي ..

* * *

لا تأكلوا أسماكنا النيليه
فصوته المكتوم
مكثف في لحمها خلية خليه
لا تأكلوا أسماكنا البحريه
فلحمه المهضوم
قد يمسك السكين .. قد يقوم
في هداة المضاجع الليليه ..

- ٣ -

من يعيد الميتين
خافضي الرأس ومعصوبي الجبين
كي يردوا شارة الموت الخرافيّ المهين
في ظلال الراية المسوحة المنكسره
ويردوا بيعة القهر وميراث الخلافه
ورقا محترقا يملأ عين الخائفين
من يعيد الميتين ؟!

* * *

حينما اوقفتهم في الصحراء
في لباس الخوف والصمت .. تعروا
ثم ماتوا قبل ساعات اللقاء
أيها الشعب الذي يركض زحفا للوراء
سدّت الارحام من دونك ..
لا تملك أن ترجع ماء
في ظهور الشبق الاعظم .. فاغسل شفتيك
من مراسيم البكاء ..

- ٤ -

حفرنا الخنادق
بأجسادنا واختبأنا بصمت الخلايا
لبسنا حكايا العبور ، لبسنا « بيان » الاذاعه
قناعا ، وخضنا طقوس الاشاعه
لتغسلنا من ثواني الغضب
وتغسلنا من قشعريرة الرفض ،

تطفىء ما يتوهج بين السؤال المرير
وبين غياب الاجابه
وخضنا ـ الى لحظة النوم ـ احزاننا

وأكلنا رغيف البشاعه
وفي النوم .. حين تفكك صمت الخلايا
تحول دفء الحشايا جليدا وغابه
وليلا من الصرخات البعيدة والطرق المبهمه ..

* * *

حفرنا الخنادق
لنبقي على سؤر أيامنا القاسيه
(ولكننا قد تركنا يد الارض صفرا وعورتها عاريه .)
وفي الطين كان الدم المتخثر ، كانت عروق الحجر
كنوزا من الصرخات الخفية والمعلنه ..

- ٥ -

حلم الرؤيا :

كان في الهودج محمولا ، وكان الدمع غسلا وحنوط
كانت الشمس بعينيه فراشه
حيثما حطت .. سمعنا نغم البدء وايقاع السقوط ..

مشهد الحلم :

كان يمشي في الظهيره
كل باب أوقع القفل ،

وطارت في الفؤوس
شارة البرق ، وفي حد المناجل
كانت اللقمة تبكي وتقاتل

* * *

القاهرة

محمد عفيفي مطر